القُبلة الأخيرة

ياسمين دحرج

دار الشريف للنشر والتوزيع

الكتاب	القبلة الأخيرة
المؤلف	ياسمين أحمد دحرج
الناشر	دار الشريف للنشر والتوزيع
حقوق الطبع	محفوظة للناشر
الطبعة الأولى	٢٠٠٥
المطابع	شركة الجزيرة العالمية للطباعة الحديثة
رقم الإيداع	

إهداء

أهدي إليكم بعضا من ذاتي يا من كنت من ذاتكم
إلي من كانت صداقتهم سيفا يقتل كل أحزاني
إلي من كانت صداقتهم سجنا يحاصر كل أيامي
رحلت معكم لحظات فرحي .. وبعد وفاتكم رسمت لي لوحة حزني .. ليرحمكم الله
ستمضي الأيام وتظلوا بداخلي لم ترحلوا بعد ..

ياسمين دحرج

المقدمة

قرائي الأعزاء
أنالا أعلم بأي الكلام أبدأ حديثي معكم .. وصدقوني لو أخبرتكم أنني وجلة .. خائفة .. كلي رهبة وخشية ..
ماذا أقول لكم ..؟ وهل يكون لكلامي أثر عليكم أم لا ؟
أنا لا أعلم بالتحديد لمَ كل هذا الخوف ؟
يجوز لأني أتحدث معكم وأنا لا أعلم كيف يكون وقع هذا العمل عليكم .. وأنتم تعلمون جيدا مدي رهبة الإنسان عندما يتكلم مع شخص عزيز لديه يخاف ألا ينال إعجابه وحبه .
فاسمحوا لي أن أزيل الرهبة من نفسي وأن أتكلم معكم ببساطة كما هي عادتي لأضع بين أيديكم هذا العمل لعله ينال تشجيعا منكم وأكون عند حسن إضافتي لكم .
كنت كثيراً ما ترددت في تكملة الكتابة وأنا أعلم أن القراءة في العالم العربي قلت كثيراً .. لكن وقوف الكثير بجانبي كانوا سبباً رئيسياً في تحدي نفسي ... ذاتي .
حاولت أن أثبت لنفسي أن هناك أناس كثيرون مازالوا يقرءون ويحبون القراءة ولأجلهم فقط أكملت الكتابة وسأستمر إلى أن ينتهي أجلي ..

ياسمين دحرج

لم يعد بداخلي ادني أمل لمعرفة ما بداخلي.. لقد انهارت مقاومتي.. لم يعد بداخلي لها وجود كيف ؟ لا أعلم !!

كل ما أعلمه أنني لم أعد أحتمل مقاومتي.. أتيت إليه..أشعر

بحبي له .. أشعر به يتحرك بين خلايا جسدي .. كأنه قطعة مني لا أستطيع فكاكها ..

كنت زاهدة عن كل شيء .. فما زلت مصابه من زلزلة الوهم والخديعة.. غارقة في مستنقع الكذب والخيانة..

ازددت كراهية لكل الرجال .. عشت بمبدأ عدم الارتباط .. عدم الحب .. عدم الزواج ..

لتسمعوا مني من أنا !! ومن هو !!

وكيف أكون ؟ وكيف يكون؟

أنا أميرة .. فتاة في ربيع العمر أعيش للفن وحده بعيدة عن دنيا الرجال .. وهذا له مغزى لدى

ستسألون ما هو ؟ سأجيبكم دون التعرض له فهو أسوأ ما تعرضت له..

هو سامح .. عرفت الحب على يديه .. عشت معه .. وله .. ومن أجله .. لكنه دنجوان .. تركني من أجل إ مرآة أخرى.. تركني وهو خطيبي.. ليته أكتفي بذلك.. بل تركني وهو على خطيئة مع هذه المرأة تسمر عن ثمرة في أحشائها .. خرجت من تجربتي الفاشلة وقررت ألا أفتح قلبي لأي حب جديد..

إلى أن ظهر أحمد في حياتي.. كل شيء سرعان ما تغير..

ما تبدل .. أضفى على الكثير ..

لتأتون معي منذ البداية

ذات صباح اتصلت بي شيماء صديقتي لتدعوني إلى حضور الحفل الذي أقيم خصيصا لتكريمي لاعترافها بالجميل من أجلى فما كادت لوحاتي تجذب أنظار النقاد ووسائل الأعلام حتى شملت الدعاية فرقة الباليه التي تعمل فيها شيماء والتي قامت راقصاتها بدور الموديل لي ومنذ ذلك الوقت أزداد الإقبال على عروض الفرقة ..

كنت أرفض تماما حضور هذه الحفلات فأنا أكثر شيء أبغضه الرقص والموسيقى فأنا أصاب بدوار البحر عندما أرى الناس يتمايلون ويقفزون أمامي أما الموسيقى بالنسبة لي مجرد ضوضاء مزعجه .. ومع ذلك فلا أستطيع أن أنكر أن الموسيقى من أجمل الفنون.. لكن ليس ذنبي أن ليس لي أذن موسيقية لكنني اضطررت إلى حضور الحفل حتى لا أ غضب شيماء

وهناك كانت البداية أقبلت شيماء مسرعة إلي فحيتني قائلة:-

– أوه أميرة .. هيا لنتناول شرابا مرطبا أن جميع الحاضرين قد جاءوا خصيصا لرؤيتك

واتجهنا إلى البوفيه .. وشاهدت سوسن عزمي راقصة الفرقة الأولى وهى تتهادى في سيرها وتتجه نحونا مفتوحة الذراعين

- أميرة.. كم هو لطيف منك الحضور أخيرا

وفى نفس اللحظة شاهدت رجل يقف خلف سوسن وقالت سوسن بلهجتها السلافية المميزة ..

–عزيزتي أقدم لك أحمد عبدا لقادرمن رجال الأعمال

ومددت يدي إليه وأنا أحدق فيه باهتمام .. تشرفنا

كان طويل القامة ويتوج رأسه شعر حالك السواد.. ذو وجه جذاب.. راح يتأملني وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقه وانحنى لي وهو يجيب كل الشرف لي يا سيدتي

فقالت سوسن ..إنها الفنانة صاحبه اللوحات التي عرضت للفرقة وقد أقيم حفل الليلة لتكريمها

وزوي أحمد ما بين حاجبيه في دهشة وقال

- نعم بكل تأكيد .. أنتِ أميرة عبد الله أنني شديد الإعجاب بأعمالك

وابتسمت وهمست إليه ..شكراً لك

- لقد عرفت أنك عاكفة على صنع لوحة لأحد الأطفال الذين يمتون لي بصله القرابة

- هذا صحيح .. أنها لوحه للصغير أيمن مسعود..

وأخذت أنظر إليه نظرات ثاقبة إذا كان أحمد عبد القادر يمت بالقرابة لعائلة مسعود تلك الأسرة فاحشه الثراء.. فلابد أن يكون من عليه القوم.. أن كل شيء فيه ينبئ بثقافته الرفيعة وثرائه الواسع .. والتقت نظراتنا

فابتسم ابتسامه عريضة .. ساخرة.. وكأنه يملك العا لم كله .. وعلي الرغم من ذلك شدتني ابتسامته وشعرت بنفسي وكأنني أطير بها في عينيه لأغفو مطمئنة البال .. مستريحة الفؤاد

أنها رائعة.. مليئة بالحزن والسعادة.. تكاد تنطق عما بداخلها

تمنيت لو أكن بداخلهم حقا ..

ما هذا الهذيان الذي أهذي به .. أجننت !! أنسيت سامح وما فعله!!

أنسيت أنه من الواضح أن أحمد صوره من سامح.. لا ..

يجب أن أعود لعقلي فأسرعت قائلة.. هل أستطيع الانصراف – لا

يا له من متعجرف.. أنه يتعامل معي وكأنني شيء أتبعه خاص به.. صحيح أنني أحب ذلك.. بل كثيرا ما شعرت بالسعادة.. وصحيح أيضا أنني سعيدة بطريقه أحمد.. لكنني أشعر به ينبش في جرحى ويعيده

إلى الحياة وأنا مازلت أضمده .. كدت أصرخ له اتركني وحال سبيلي لا أريد منك شيء.. وجعلت أحدق النظر فيه كم أود لو صنعت له لوحه.. ستكون رائعة.. لكن كيف ؟ أفقت من شرودي وهو يقول

- في الحقيقة أنا أريد أن أطلب منك صنع بعض اللوحات

ارتسمت الدهشة على ملامح وجهي ترى هل يريد أن أرسمه ؟

هل قرأ أفكاري وعلم أنني أتمنى لو رسمته وجعلته أجمل لوحاتي

وكانت دهشتي أبلغ رد عندي .. فابتسم ابتسامه ماكرة قائلا

- لقد علمت أنك تتجهين في هذا الاتجاه أليس كذلك ..؟ ولقد أكدتِ لي هذا .. لماذا أذن هذه الدهشة ؟

ماذا أقول له ؟ أن أفضل شيء هو الابتعاد عن هذا الشخص المتعالي المتعجرف.. لكنه ربما يكون جاداً في طلبه .. وحقيقة أنا أتمنى لو رسمته وأن يكون موديلا لإحدى لوحاتي.. سأظهر في هذه اللوحة الكثير من شخصيته وأفعاله .. كما أنه سيكون دفعه قويه لمستقبلي دون شك.. فكيف أتركه وأذهب لحال سبيلي وسألته ..لمن تريد اللوحة

- أريدك أن تقومي برسم لوحه لسوسن عزمي

يا لخيبه أملي وخيبه رجائي !! لقد كنت أفضل أن أرسم لوحه له هو.. لما انتابني هذا الضيق .. فكل إنسان حر في تصرفاته وهو يريد ذلك .. ثم أن سوسن موديلا رائعا .. أنه لاشك يريد هذه اللوحة لتكون هديه لها

- فلنناقش أولا الناحية المادية

- حسنا كم تريدين

واقترحت مبلغا معينا وهو ضعف ما طالبت به أل مسعود وأخذت أنتظر رد فعله وقال في الحال يبدو لي أنه سعر معقول

- لكن يجب أن تعلم أنني لن أستطيع البدء في هذه اللوحة إلا بعد أن أفرغ من أعمالي التي تعاقد عليها أي بعد أسبوع كامل

- حسنا جداَ هل أستطيع أن أخبر سوسن أن تكون مستعدة يوم الاثنين

- أجل

وانحنى نحوي فجأة وأخذني على غره وقبلني قبله خاطفه.. وتراجعت للوراء وقد أستبد الغضب بي

- من تظنني أكون .. وبأي حق تعتدي علي

- اعتدى عليك !! لماذا هذه المبالغة.. أن الأمر لا يتعدى قبله خاطفه.. لفته صداقه واحترام تدعم اتفاقنا

أنه لا يكتفي بما فعله بل ها هوا ذا يسخر مني !! ألم أقل لكم أنه مغرور متعجرف .. فقلت له

- ليس هناك اتفاق بيننا.. أنني أرفض العمل من أجلك حتى إذا عرضت على مليون جنيه
- أسف لن يحدث هذا مرة أخرى .. فهل تقبلين تناول طعام العشاء معي غداً
- لا .. حتى إذا قدمت لي ذهب العالم أجمع
- أنا أسف إذا كنت قد أهنتك
- أنت تكذب .. قل أنك تتأسف لأنك لم تحقق أغراضك .. هذا إذا كنت تتأسف حقا
- أحقق أغراضي ! ماذا تعنين بقولك هذا ؟
- فلتعلم أن هناك نساء أنا منهن ليس لجاذبيتك أو لثرائك أي تأثير عليهن.. أنني أعلم جيداً حقيقة الرجال الذين على شاكلتك وأنا أحتقرهم
- أي نوع من الرجال تعنين
- هؤلاء الذين يعتقدون أن النساء ليس لديهن إلا فكرة واحدة الخضوع لمآربهم.. باختصار الرجال المتعجرفون.. الأنانيون.. المغرورون..
- آيه .. انتظري لحظه .. فقد بدأت تجرحين مشاعري .. أتريدين أن نبدأ من الصفر أنني أطلب صفحك بكل تواضع لأنني اعتديت عليك بهذه الطريقة وسأكون فخورا إذا قبلتِ تناول العشاء معي غداً
- لا .. مع السلامة يا أستاذ أحمد لا يمكن أن تكوني جادة في سلوكك هذا .. أنا أيضا أعلم أي نوع من النساء تنتمين يا أميرة إذا سلمنا أنني كما تقولين.. فأنتِ من منا نحن الاثنين هي التي تستحق الرثاء

وتركته وانصرفت .. ياله من إنسان فظ .. غليظ القلب .. يقبلني على الرغم مني وينتهي به الأمر إلى إهانتي بتلميحاته الجارحة .. ألم أبالغ في رد فعلي تجاهه .. ولكن لَمَ يثيرني بهذا الشكل !! لَمَ يجتاحني .. أني أود لو ارتميت بين ذراعيه ناسيه كل مابي من جراح !! لكن أيكون هو مضمد جراحي !! أم أن صورته من سامح ستكون تفتيح للجراح .. وأخذت أتذكر سامح الذي كان يتمتع بنفس جاذبيه أحمد والذي كادت خيانته لي تحطم قلبي ونفسي.. أنسيت إنني عاهدت نفسي ألا أخضع لمثل هذا النوع من الرجال ..يجب أن أنسى.. يجب أن أتركه يرحل عن عالمي.. وأعتقد بعد هذه المعاملة لن يكن لي به صله على الإطلاق

لكن أحقا أنني سعيدة ببعده هذا !! لكن ما فعله يدل على أنه ليس له أمان.. وخيرا فعلت أنني لم أشجعه وأوقفته عند حدة .. وبدل من أن أتأسف على سلوكي هنأت نفسي لقد دست على كرامته هذا الجلف وأصبحت في مأمن منه مستقبلا .

وفى اليوم التالي جلست أقرأ صحيفة اليوم وجذب نظري صوره بعينها أنها لأحمد عبدا لقادر وأخذت أقرأ المقال الذي يتحدث عن ندوه عن الأسواق المالية.. بعد ذلك أخذت أتأمل الصورة التي تعكس معالم وجه أحمد المتناسقة ونظراته الثاقبة الغامضة.. أنه مثالا للرجولة الكاملة.. والثقة اللامتناهيه بالنفس

وأخذت أتأمله وأتخيله بعين الفنانة أنه يصلح لأن يكون موديلا حديثا رائعا .. وقلت لنفسي أنه كرجل لا يناسبني ولكنه كعمل على العكس .. لكن أحقا ما أحدث به نفسي.. إنني أستطيع أن لا أنكر أن أحمد أخذ بداخلي موضع أخر .. شيء لا أستطيع تحديده.. الخوف يمنعني من تحديده .. والمبادئ والمثل العليا التي تشغلني تمنعني من تحديده وظلت صوره أحمد تراود خيالي وفجأة وجدت نفسي مدفوعة بقوه خفيه إلى تأمل الصورة من جديد وتفجر بداخلي إلهام الفنان الخلاق

فجلست أمام كراسه الإسكتش وأخذت أرسم رؤيايا الخاصة لأحمد ومرت ساعة كاملة وأنا منغمسة في عملي وأخيرا تراجعت وأخذت أتأمل ما رسمت وأضفت بعض الرتوش إليها .. ولكنني توقفت فجأة.. هل فقدت عقلي ؟ هل أخذني الجنون ؟

أي شيطان تملكني لأسلك هذا السلوك واستبد بي الغضب .. ونقمت على نفسي .. ونزعت الورقة ومزقتها وألقيت بها في سله المهملات ثم أطفأت النور وغادرت الأتيلييه وعدت إلى المنزل.. وفى طريق عودتي أخذت الأفكار تزاحم عقلي حقيقة أريد أن أعلم ماذا بي ؟ و لَمَ القدر يسوقه أمامي في اليوم التالي للقائه هل أكون صريحة مع نفسي وأقول أن انجذابي لسامح كان وهما وانجذابي الحقيقي هو لأحمد .. أم أقول أن انجذابي لأحمد كان حقيقة لكنها انتهت وحلت حقيقة جديدة سرعان ما ستنتهي نهاية مأساوية أيضا كنهاية سامح .. لا ..لن أعطيه الحق أبداً أن يدخلني بعلاقة كهذه.. يجب أن أوقف نفسي من التفكير فيه.

وبدأت أنغمس في العمل .. يجب أن أشكر الله أن أتاح لي فرصه فريدة بعرض أعمالي .. فمن النادر حقا أن يستطيع فنان في مثل عمري أن يعرض إنتاجه في صالة عرض شهيرة كهذه

ألم أشعر بالفرح الشديد والسعادة عندما طلبت مني ليلى منذ شهر أن تعرض أعمالي في صالة (الأمل) فبذلك سوف يذاع شهرتي أكثر بعد معرضين من هذا المعرض وعند إذا سوف أستطيع تكريس وقتي لفني فقط وأنسى أحمد نهائيا ..

وجاء يوم العرض وكنت في حاله يرثى لها وحاولت ليلى وشيماء الوقوف بجانبي .. وجاءت ليلى قائله

- لقد سار كل شيء على ما يرام أن المعرض قد نجح نجاحا كبيراً فقد تم شراء العديد من اللوحات

غمرتني سعادة لا حدود لها وتنهدت بارتياح

- عظيما أشكرك من صميم قلبي على مساعدتك ومساندتك لي
- يمكن القول أن مستقبلك أصبح مضمونا بأذن الله على كل حال لقد قال لي صاحب صالة العرض أنه سيقوم بتنظيم كل معروضاتك القادمة
- هذا رائع يا لورا أن لا أكاد أصدق ما أسمع
- أخبريني هل تقابلت مع صاحب المعرض أنه لن يمكث سوى فتره قصيرة
- لقد صافحت العديد من الأيدي ولا أدرى إذا كنت قد قابلته أم لا.. أظن أنه كان سيعلن عن نفسه
- ربما لا .. فهو يفضل ألا يعرف الناس عنه أنه يباشر هذا النشاط
- كنت أود أن أتقدم له بالشكر والآن يجب أن أعود إلى منزلي وأسمح لك أن تفعلي نفس الشيء فلا بد أنك مرهقة تماما
- أوه .. أنني معتادة على ذلك خصوصا أن صاحب صالة العرض يترك لي الحرية الكاملة في تنظيم المعارض
- لكن من تكون هذه الشخصية الغامضة ؟ أم أنه سر يجب عدم البوح به

وفى هذه اللحظة سمعنا صوت وقع أقدام تقترب والتفتنا إلى مصدر الصوت وقالت لورا

- أنه هو ياعزيزتي

من ..مستحيل..احمد عبدا لقادر.. انه إذن الشخصية الغامضة.. انه الرجل الذي يمسك مستقبلي بين أصابعه .. يا الهي كيف يكون ذلك .. وكيف أتعامل معه وهو بهذه الصفات الوقحة ..لا ..لا مستحيل.. هل انسحب ومستقبلي.. إن في خلال معرضين سأكون الفنانة الأولي في القاهرة.. ما هذا يا ربي أقف بجواري .. فقال أحمد

- أنسه أميرة يسعدنا رؤيتك مره أخرى
- مساء الخير أستاذ أحمد أشكرك كثيرا على أتاحه الفرصة لي ..
- لا شكر على واجب
- هل تسمح لي بالانصراف

- أريد التحدث معك

- أسفه أريد النوم ورائي عمل صباحا.. وتركته وذهبت إلى المترل .. هنـأني أمـي وأخـوتي لنجاح المعرض .. قائله لي أننا مدعوون جميعا في حفل زفاف بعد غد لابد أن تأتى معنا ..

- لا أستطيع أنتي تعلمين جيداً مدى كرهي للحفلات

- لابد أن تأتى معنا..

- يا أمي ..

- لقد قلت وانتهى الأمر أن الجميع يؤكد على وجودك معنا

- سآتي ..

وبالفعل ذهبت معهم إلى الحفل وفجأة وجدت عادل وسوسن وشيماء وما كاد يراني حـتى تـركهم ولحق بي ياعزيزتى كم أنا سعيد برؤيتك كيف حالك

- في خير حال

وانتهزت فرصه سلامه إلى أمي وأسرعت إلى حيث تقف شيماء فهللت قائله

- أنك لا تكفين أبداً عن أثاره دهشتي يا أميرة

كيف تمكنوا من إقناعك بالحضور ؟ على كل حال أنا سعيدة جداً برؤيتك .. وفجأة وجدته .. تخيلوا معي .. أحمد عبد القادر.. وبطريقه غريزية لاإرادية حاولت أن أدير رأسي بسرعة حـتى لا يفـاجئ بنظرتي .. لكن للأسف بعد فوات الأوان فقد تلاقت العينان واضطربت .. كنت أشعر كأنه يعـانقني يعيناه وأن عيناي استسلمت لعناقه الحار .. ولكي أخفى اضطرابي استدرت صوب شيماء قائله مـاذا يصنع هنا

- أحمد عبد القادر .... وقبل أن أكمل تذكرت أنني رأيت سوسن فأضفت بلهجة ساخرة .. أتي من أجلها

- لا أعتقد ذلك على كل حال أهما لم يحضرا معا

أعترف أنني لا أفهم موقفك المعادى منه..انه ينفجر جاذبيه وجمال

– وهو يسيء استخدامهما .. لقد تحدث معي السبت الماضي بحجه رسم لوحه لسوسن وسـار كـل شيء على ما يرام ولكنه عند رحيلي حاول أن يقبلني وقد عنفته أشد العنف ..

فقالت بعد إن زالت عنها دهشتها..

لماذا فعلت ذلك أنك تبلغين السادسة والعشرين و لم ترتبطي بأحد منذ تلك القصة القديمة مع سامح.. ثم يأتي أحمد الذي تتمناه أي أمراه فتقاومين ...

- فقاطعتها قائله أنا لست في حاجه إلى وجود رجل في حياتي أنا راضيه بوضعي هذا تمام الرضا.. وحتى إذا غيرت رأيي في هذا الموضوع فلن يكون الرجل الذي أختاره ليقاسمني حياتي هو أحمد عبد القادر ألا ترينه على حقيقته ..

- نعم أنني أراه .. وسيما..شابا .. فاحش الثراء ..

- وزير نساء مثل سامح.. لا شكرا.. أن تجربه واحده تكفيني ..

ونظرت شيماء من فوق كتفي وقالت بهدوء أنا أرفض الشجار معك..ها هو قادم نحونا مستحيل بعد الطريقة التي عاملته بها .. لا.. يجب أن أمنع هذه المواجهة بأي ثمن.. يجب أن أتحاشى الكلام معه.. لا أستطيع .. ولكن ماذا يفعل هنا ؟ هل هو يطاردني .. وفى هذه اللحظة ظهر بجانبي قائلا

- مساء الخير يا أميرة

فأجابته شيماء التي طبعت على وجهها أجمل ابتساماتها

- مساء الخير أستاذ أحمد

فقلت بلهجة جافه

- يالها من مفاجأة !!

- وما وجه الغرابة في ذلك ؟

- لقد سبق وقلت لك أن عائله مسعود تمت لي بصله قرابة..ثم أضاف وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامه ساخرة

هل تخيلت أنني أتتبع خطاكِ أينما تكوني..

- ألم أقل لكم أنه متعجرف .. مغرور.. هل صدقتموني .. هل وجدتم أن معي الحق في أنانيته وغروره قبل أن أرد عليه لمحت نورا زوجة أخي تأتى مقبلة على أحمد ومعها أخي إقبال غير عادى وهى تقول كم أن سعيدة برؤيتك أنت تتذكر أحمد عبدا لقادر أليس كذلك .. وكان مدعو لحفل زفافنا.. وحاولت أن أتذكر ذلك اليوم المشهود لكن دون جدوى.. ولكن كيف يمكن أن أتذكره وأنا في ذلك الوقت لم أكن أرى غير سامح .

وظهر أبي وأمي في تلك اللحظة وكان على أن أقدمهما لأحمد الذي أستحوذ على إعجابهما منذ اللحظة الأولى وطلبني أحمد للرقص ... ورفضت ... فقال أشرف أخي

- ألم أقل لكم أن أميره تحب أن يتوسل إليها المرء لكي تقبل طلبه

كيف يمكنني أن أرفض بعد هذا القول الساحر.. أحقا أنا لا أريد احتواءه لي!! لم أتجنب الحديث معه ؟؟ وأتجنب لقائه !! واضطررت أن أتبعه قائله لأحمد

- أنني ألومك على هذا الشرك الذى نصبته لي كان في مقدوري أن أرفض دعوتك لي بالرقص أمام جميع أفراد عائلتي

- ألم ترفضي

- كن صريحا.. آي مصادفة غريبة قادتك إلى هنا

- أكرر لكي أنهم يمتون لي بصله قرابة

- ألم تشك في وجودي هنا

- أرجو ألا أخيب أملك إذا قلت لكي..لا

- في هذه الحالة لماذا طلبتني للرقص ؟

- من باب المجاملة والأدب

وبدأ يقوم بخطوات رقص معقدة فتعثرت قدمي فقلت..

- أنت تنسى أنني لست راقصة..

- لا تقلقي فها أنتي ذي تذكريني بذلك وشدد قامتي وشعرت بالرغبة في صفعه أنه لا يزال يبتسم ابتسامته الساخرة .. أنه متعجرفا حقا.. لا أدرى ماذا أفعل معه ..

فقال وكأنه قرأ ما يدور في رأسي من أفكار

- أرجو أن تغفري لي ما قلت .. أنا لم أستطع المقاومة أنا أسف

- لا يبدو عليك الأسف

- يجب أن تعترفي أن سلوكك المناهض لي قد حتم على هذه المداعبة غير اللائقة

- كيف تريدني أن أكون لطيفه معك ؟ أنت تتدخل في حياتي وتحاول ....

- تكلمي بصوت أكثر حده حتى يسمعك الجميع

لم أكن أدرك أنني في حاله الغضب هذه أنني أتكلم بصوت مرتفع جعل بعض الرءوس تستدير في اتجاهنا .. أن هذا الرجل يجعلني دائما أفقد أعصابي والسيطرة على نفسي.. أنني في العادة لا أسلك أبدا هذا السلوك ..

ورفعت عيناي نحوه ونسيت كل شيء .. دائما ما أبحر عبر عيناه إلى دنيا لا حدود لها.. وأفقت من إبحاري وأخذت أتفحص ملامحه .. وقد تملكتني النشوة آه.. لو كنت فقط أملك أدوات الرسم الآن

.. كان لأحمد نفس التعبير الذي رأيته في صورته بالجريدة .. وسألني وقد أدهشته تلك النظرة المدققة الفاحصة ..

- لماذا تحملقين في هكذا ؟ هل هناك شيء غريب في هندامي ..هل رباط العنق ؟
- لا .. بل رأسك
- رأسي.. في هذه الحالة أنا أسف فلا أستطيع تغيرها
- هل تقبل أن تكون موديلا لي ؟

أخذ يحملق في وهو لا يصدق نفسه

- أكون موديلا لك
- هززت رأسي بالإيجاب
- ليس هذا ما كنت أرجوه
- أعرف ذلك .. لكن هل تقبل .. نعم أم لا ؟

أحسست وقتها أنه من الواضح أنني أضيع وقتي سدي وأنه لا يوجد في رأسه غير فكره واحده إشباع رغباته ونزواته فقط .. فرفعت صوتي قائله

- فلنصرف النظر عن هذا الموضوع أرى أن الفكرة لا تروق لك..

وهممت بالانصراف لكنه أمسك بذراعي قائلا

- انتظري .. لماذا هذه العجلة.. قولي لي هل كنتِ جادة فيما تقولين ؟
- ماذا يهم ذلك فلننسى الموضوع والآن اتركيني لأذهب لحال سبيلي
- من فضلك دعيني أفكر أن ما تقوليه أمر يستميلني .. فلنقل أني موافقا
- يجب أن تعرف أن العلاقات بيننا يجب أن تظل في علاقة الفنان بالموديل ولاشيء أكثر من ذلك
- موافق إذا كان هذا ما تريديه حقا !!

أهو يشعر بي إلى هذه الدرجة !! أيشعر بما داخلي !! أيشعر بحبي له !! يجب أن يظل ما بداخلي لا يعلم أحد عنه.. يجب أن أكتم عن نفسي مشاعري تجاهه .. يجب أن أتمسك بمبادئي

وفجأة أخذنا من تفكيري صوت جهور يقول

- أميره يا عزيزتي هل تفرين مني ؟؟ هل ترفضين الرقص معي ؟
- أنت تعلم يا عادل أنني لا أجيد الرقص .. كما أنني رقصت مع أحمد وكنت على أهبه الانصراف

وتخلصت من قبضته وتركتهم وذهبت.. فسمعت صوت أحمد يناديني واستدرت نحوه فواجهني بابتسامته الماكرة قائلا

- أننا لم نحدد موعدا لبدء العمل
- هل تقبل جميع شروطي
- بكل تأكيد إذا كنت تصرين عليها.. هل أنتِ وعادل ....

وقاطعته وقد أدركت ما يريد أن يقول

- لا ..
- في هذه الحالة ماذا يعني ما حدث
- إذا كنت تعرف عادل جيدا لأدركت أن هذا هو سلوكه المعتاد وأن هذا لا يعني شيئا
- ربما لا يعني شيء بالنسبة لكي أما بالنسبة له
- أصغ إلي يجب أن تصدق ما أقول.. وعلى الرغم أن هذا لا يعنيك فأنا أؤكد لك أنه ليس بيننا أي شيء ولن يتغير هذا الوضع مستقبلا
- كنت أخشى أن أتعدى حدود الغير.. هذا هو كل شيء
- أحمد .. كنت أعتقد أنك قد قبلت شروطي
- لقد كنت أداعبك متى سنبدأ ؟
- لنقل يوم الأربعاء القادم بعد الظهر
- موافق إلى يوم الأربعاء إذن

وفي طريق عودتنا إلي المترل وجدت الجميع يكيلون المديح لأحمد خاصة أمي التي قالت وهي تنظر إلي

- إنه جنتلمان بمعني الكلمة كما أنه وسيم جدا

وعلمت من نورا أنه غير متزوج وكثير السفر للخارج وأنه دون جوان محطم قلوب النساء

إن حديث نورا عنه يؤيد رأيي فيه ويخيفني منه ماذا لو تجرأ علي .. ولكني قادرة علي إيقافه عند حده إذا لو تجرأ و.... ثم ألم يقبل جميع شروطي ..

وجاء يوم الأربعاء واستبدت بي الدهشة عندما حضر في ميعاده وانغمست في العمل وعلي خلاف ما كنت أتوقع فقد كان بمثابة موديل مثالي .. ظل ساكنا لا يحرك أي عضلة من عضلات وجهه ... وبعد فترة قلت له

- يمكنك أن تستريح الآن
- هل يمكنني أن ألقي نظرة

- إذا أردت ذلك

وأخذ يدقق النظر بضع لحظات دون أن يظهر علي وجهه أي تعبير ثم حول نظرته إلي قائلا

– عظيم هكذا ترينني حقيقة ؟

- لماذا هذا السؤال ؟ إنني لست آلة تصوير إن رسم كل موديل يختلف باختلاف الفنان
- هل يعني ذلك إن إحساس الفنان بالموديل هو العامل الحاسم في عملية الإبداع
- بكل تأكيد
- ولكن هل انتهى عمل اليوم؟
- لا .. مازال الوقت مبكرا
- هل لي أن أطمع في تناول فنجان من القهوة
- بكل سرور ... أرجو أن تنتظر دقيقة واحدة .. ويمكنك أن تنتهز ذلك لتسترخي وتريح عضلاتك بعض الشيء

أخذ يتجول في أرجاء الاتيليه وهو يدقق النظر إلي كل ما فيه

وأحسست به بعد لحظات يقف خلفي قائلا – إن الأتيليه جميل ومريح للغاية .. وتبدو فيه بوضوح اللمسات الفنية الرقيقة .. أنت تقضين من غير شك معظم وقتك هنا

- بل كل وقتي تقريبا
- ألا تشعرين بالملل أبدا
- علي الإطلاق

وظللنا نتكلم .. حدثني عن نفسه وعن طبيعة عمله .. وحدثته عن نفسي وعن عملي .... وانتهينا من شرب القهوة وعدنا إلي العمل ساعة أخري ثم قلت له

- حسنا جدا .. لقد انتهت جلسة اليوم.. أنت موديل مثالي .
- هل أستطيع أن أري
- أجل
- أه .. حسنا جدا . إنني أكاد أموت جوعا .. وأنت ؟
- ليس بهذه الدرجة
- لماذا لا نتناول العشاء في مكان ما !! سأذهب إلي المترل لأغير ملابسي ثم أعود لاستصحابك .. هل تحبين.

- إنني أشعر بالتعب و....
- هيا... لا تركني للكسل

وزال ترددي لقد بدأت تروق لي صحبته ... ثم ألم يحترم شروطي حتى الآن !! أيضا لم أعد أعلم لم أنساق له .. لم لم أعترض ؟ هل أنا أحبه ؟ هل أكرهه؟ أم أنني غاضبة عليه ؟

أجل إني غاضبه من أفعاله التي لا تعجبني ... غاضبه من تعلقه بالنساء .. يعرف هذه ويترك تلك .... لكنني بالرغم من ذلك منساقة له .. فلا أنا قادرة علي الرضا به رضا تاما .. ولا أنا قادرة علي رفضه رفضا تاما .. أعيش في تأرجح بين قبوله أحيانا ورفضه أحيانا.. وفجأة أخذني من تفكيري قائلا

- سأعود بعد ساعة

وصحبته إلي الباب وتقابلت نظراتنا وراح قلبي يدق بشدة .. أليس من الأفضل أن أرفض دعوته .. لكنني لم أستطيع .. شئ ما يشدني إليه .. شئ لا أستطيع الفكاك منه ..

وانصرف .. وحاولت أن أهدئ من قلقي .. ألم يأتي إلي الأتيليه و لم يحدث منه شئ .. بل كان علي غير المتوقع مريحا .. مبهجا .. رقيق .. لطيف الصحبة ، ما هذا ؟ لماذا لم أكف عن التفكير فيه منذ رحيله ؟ ماذا يعني هذا؟ هل أعلم الإجابة ولا أجرؤ علي البوح بها .. أو لا أدري كيف أجيب علي نفسي !!

وبعد مرور ساعة حضر أحمد

وقادني إلي أحد المطاعم القريبة وأثناء تناول الطعام تحدثنا بإفاضة عن مهنتينا ومميزاتهما وعيوبهما وعن عدم تقديرنا المشترك لفن البالية

فمد يديه ووضعها فوق يدي

فقاطعته وأنا أشعر بالحرج الشديد

- أحمد ... من فضلك

فسحب يده وهو يتنهد قبل أن يتفحص فاتورة الحساب

- هل تريدين فنجانا من القهوة أم ترغبين في الذهاب في الحال؟
- نعم كم أود أن أكون في الأتيليه الآن بمفردي

إن شيئا ما فيه يجعلني أشعر بالضيق خاصة بعد أن علمت أنه رجل بلا جذور لا يهمه سوي المال

وأوصلني إلي الآتيليه

- أشكرك علي هذه السهرة اللطيفة
- ألا تعينني للدخول

- إن الوقت متأخر كما أنني أشعر بالتعب الشديد بعد عمل اليوم .. هل يمكنــك أن تمــنحني بعض الوقت خلال هذا الأسبوع للانتهاء من ...

وقبل أن أكمل كلامي وضع إصبعه علي شفتي قائلا

- لا تقولي شيئا

فأبعدت نفسي إلي الوراء قائلة في غضب

- إنني أرفض العمل معك بعد ذلك

- لماذا ــ هكذا

وأخذ يحدق في بدهشة ثم سألني

- هل تكرهين الرجال جميعا أم أنا بوجه الخصوص

- شئ لا يهمك وأرجوك أن تنصرف

- لا .. لن أنصرف

- أكرر لك أنني أرفض العمل مع موديل يبيح لنفسه مثل هذا السلوك

- لكن لا يمكن أن تتراجعي

- آسفة لقد تراجعت

- أعدك أنني سأحترم شروطنا من الآن فصاعدا.. ومع ذلك أرجو أن تعلمي أنــني لا أبغــي مغامرة عابرة معك إنني أقدرك كامرأة وفنانة .. فما وجه الخطأ في ذلك ؟ أعترف لك أنني لا أفهمك يا أميرة

- لا يهم ذلك الآن إن المهم أنني أتردد في مواصلة العمل معك

- إذا كان هذا رأيك بالفعل فإني أتقدم لك بهذا الاقتراح .. سوف أحضر يوم الخميس كمـــا اتفقنا وقرري وقتها إذا كنت تريدي الاستمرار في العمل أم لا .. وتركني وانصرف

ودخلت الأتيليه وأنا غاضبه من نفسي ومنه وفجأة وجدت نفسي أمام لوحته وظللت أتأملــها .. ألا تغريني رسمها من أي شئ آخر .. لقد اخترت لها الألوان و النوع وكل شئ

وعندما دققت الساعة الثانية عشر والنصف ظهر الخميس قلت لنفسي إنه لن يحضر !! ولكـــن لـــو لم يحضر يكون الحق معه .. لا أستطيع أن أعيب عليه ذلك .. ألم أطأ كرامته !! هو أيضا يستحق ذلك .. ألم يخطأ!!وعلي الرغم من كل توقعاتي سمعت دقا علي الباب ..أسرعت وقلبي يدق بشدة وفجـــأة وجدته أمامي وأظهرت تبرمي فقال

- لم أكن واثقا أنك تنتظريني ولكن أدرك تماما الآن أنك لا ترغبين رؤيتي

وهكذا وقع علي كاهلي وحدي عبء اتخاذ القرار ..

يا لذكائه .. ومهارته .. إنه ينتصر دائما ... فإذا قبلت وجوده فإن ذلك يعني أنني قد خدعت لـــه .. أما إذا رفضت فإنني بذلك أعترف بعدم قدرتي علي مواجهته .. يجب أن أتصرف بحكمة فقلت

– لكي أكون صريحة معك فأنا لم أكن أتوقع حضورك .. ولكن طالما أنت هنا فلنبدأ العمـــل بـــدون تأخير

وأشرت له بالجلوس علي أحد المقاعد وكان كالمرة السابقة موديلا مثاليا فقد ظل جامـــدا لا يتحـــرك وبعد فترة قلت له

لقد انتهي عمل اليوم وانصرف أحمد وأخذت أتجول في الأتيليه .. ووقفت أمام حامل الرسم وأخذت أتأمل اللوحة لقد بهرتني حقاً .. لقد خيل لي أنني أكاد أصبغ عليها من نفسي !!

واصبح مجيء أحمد غير ضروري وفي أخر جلسة .. قلت له :–

- لقد كانت هذه آخر جلسة لنا علي الأقل لبعض الوقت

وأقترب مني وهو يحكم رباط عنقه قائلاً :–

- هل يعني ذلك انك أوشكت علي الانتهاء من الرسم

- لا .. ولكن وجودك لن يكون ضرورياً من الآن فصاعدا ولكن سوف أكون في حاجة إليك مرة أو مرتين فيما بعد وسأخبرك بذلك وقت احتياجي إليك

وانصرف أحمد .. وبدأت أحدث نفسي .. إنني الآن بعد ما عرفت أحمد جيداً أدركت انه ليس كما تخيلته من قبل .. إن تحفظه وسلوكه الذي لا غبار عليه خلال تلك الأسابيع الطويلة يدل علي قدرته الفائقة في التحكم بنفسه .. لكن ذلك لا يمنع من أنني يجب ألا أعطيه ثقتي .. فهو من غير شك سيستغل أي ضعف من جانبي .. ولكنني قادرة علي مواجهته في أي ظرف و لم أعد أري أحمد ..كنت أشعر بغربة .. بشيء أحتاج عليه لا أجده .. ولكنني تجاه غيابه !! هل أشعر بالراحة أم بخيبة الأمل !! إنني أشعر بنقصان شئ مهم في حياتي !! أهو التعود عليه مالي لا أحاول معرفة ما بداخلي !!مالي لا أخاف من البوح بحقيقة مشاعري ؟ وانغمست في العمل فترة وفجأة وجدت نفسي أمام مشكلة .. كان هناك شئ لا يعجبني في وضع اللمسات الأخيرة وتمنيت أن أري أحمد الآن .. ولكنني انتظرت علي أمل أن يتصل بي أو يأتي ..

ولما يئست عملت في لوحات أخري ولكن بدون حماس و لم أستطيع المقاومة أكثر من ذلك .. وقررت أن أتصل به ولما اتصلت لم أجده فقد كان في لندن فتركت له رسالة .

وفي اليوم التالي دق جرس التليفون وكان هو المتحدث ... كدت اصرخ فيه أين آنت !! ولما تركتني طيلة هذه المدة دون أن تسأل عني !! قال بصوته الهادئ العميق :-

- أميرة كيف حالك ؟ وكيف يسير العمل ؟
- بخير حال .. لقد توقفت أمامي مشكلة !!
- ماذا حدث ؟
- إنني في حاجة إلي وجودك من أجل بعض التفاصيل .. جلسة قصيرة في الوقت الذي يناسبك
- حسناً جداً .. أنا في الطريق إليك
- في الحال ؟!!
- بكل تأكيد .. إلا إذا كنت لا ترغبين في ذلك !!
- لا أنا في انتظارك .
- – سأكون عندك بعد ساعة .. لقد حضرت لتوي من المطار وأريد أن أحلق ذقني وأخذ دشاً ثم أتي إليك ..

وحضر في ميعاده

- أشكرك علي حضورك في الحال فأنت مرتبط وبلا شك بأمور أكثر أهمية ....

فقاطعني قائلاً :-

- كيف يمكنني ألا أستجيب لطلبك .. فبتنازلك واتصالك بي لابد وأن تكون هناك كارثة ..

وتجاهلت سخريته وأخذت مكاني أمام اللوحة بينما جلس هو علي مقعده المعتاد ..

- أدر رأسك قليلاً في اتجاهي .
- هكذا ..
- لا

فتقدمت نحوه .. فحاول أن يمسك يدي

- لا يا أحمد لقد وعدتني أن تحترم شروطي .. أرجو أن تكف عن ذلك .
- لماذا المقاومة يا أميرة
- بأي لغة يجب أن أتحدث معك !! إن مناوراتك لا تهمني في شئ وإذا كنت لا تفهم ذلك ....

فقاطعني قائلاً :-

- أنا لا أصدق أنت تكذبين .. وأقترب مني .. دعيني أحبك يا أميرة ... لقد صبرت طويلاً واحترمت شروطك حتى الآن ...
- للمرة الأخيرة أقول لك لا يا أحمد ..
- أنا لا أفهمك لماذا تنكرين انجذابك نحوي ؟
- أنت مخطئ تماماً .
- إنك تتظاهرين بالغضب .
- ما هذا القول السخيف ؟ هل تعتقد أن جميع النساء وبلا استثناء يجب أن يركعن أمامك ..
- إنني لست الدنجوان الذي تظنينه ولكني واثق من أنك تبادليني نفس المشاعر .. قولي العكس وأنا أعدك بعدم التعرض لك مرة أخري ..
- إن ما أحسه لا يهنك في شئ وأنا حرة في اختياري وعليك أن تحترم ذلك ..

وتلاشت ابتسامته أمام هذا العناد وراح يذرع المكان ذهاباً وإياباً وهو تائه في أفكاره.. وابتسمت وأنا أشعر بالرضا عن نفسي .. إن الانتصار علي حوت مثله يعتقد أنه يستطيع شراء كل شئ بأمواله يملؤني زهواً .. ومد يديه ليمنعني .. يبدو أنني أخطأت في اعتقادي وظننت أنني انتصرت قبل الأوان فقلت

- أحمد لا تبدأ من جديد
- أخبريني بالله عليك ماذا يجب أن أفعل لأثبت لكي أني أحبك .. أتزوجك ؟

فانفجرت ضاحكة .. ثم خطر لذهني خاطر جنوني ... لماذا لا أجاريه وألزمه بكلمته !! إن ذلك سيمنعه من غير شك في مواصلة سلوكه هذا تجاهي .. إنني لن أجازف بشيء فهو لن يقبل أبداً الزواج مني فقلت له :-

- نعم بالضبط
- حسناً جداً .. أنا موافق
- هل أنت مجنون ... ليس هكذا يتم الزواج .. هل تريد أن تتزوجني لكي تطلقني بعد ليلة الزفاف .
- من قال ذلك .. صحيح أن فكرة الزواج لم تراود ذهني حتى الآن ولكنها تروق لي فربما قد آن الأوان لان أحيا حياة مستقرة ..
- ولكني لا أستطيع

ومع ذلك فقد بدأت تتبلور في نفسي فكرة أخري سرعان ما تطورت إلي خطة متكاملة .. يجب أن أعطي درساً قاسياً لهذا المتعجرف المتعالي .. أن أمحو إلي الأبد من شفتيه هذه الابتسامة الماكرة ..

الساحرة إنني لست ساذجة فأنا أعلم أنه سيتزوجني ثم ينفصل عني بالطلاق عندما يملني .. ليبدأ مغامرة جديدة .. إنه لا يعلم ماذا ينطوي عليه الزواج .. الحب أولاً ثم الحنان .. والثقة المتبادلة .. الاحترام وبناء مترل الزوجية وإنجاب الأطفال إنه مجرد طفل مدلل تمتلكه فكرة ثابتة .. تحقيق غاياته وأهدافه وأحسست بالقوة إذا نجحت خطتي .. ولماذا لا تنجح ؟ سأنتقم لكل من عرفهم !! ماذا يهم ذلك ؟فقلت له : –

- حسنا جداً أنا أقبل
- بشرط آن يتم الزواج في الأسبوع القادم
- حسن .. لكن عليك بالذهاب لوالدي .
- سأذهب إليهم في الحال
- أنتظر إلي الانتهاء من العمل

وبالفعل ذهب إلي والدي واتفقوا علي كل شئ ويوم الخميس القادم يوم زواجي .. هكذا قد تكرر . ألقيت نفسي علي أحد المقاعد وأنا عاجزة عن تصور وضعي الجديد .. أنا متزوجة ..لا .. إن أحمد لم يكن جاداً .. كيف يمكنني أن أصدق أنه قد شارك في هذه ((الكوميديا)) ومع ذلك فإن كل شئ يشير إلي أنه مصمم علي تنفيذ وعده .. هل هو يحبني فعلاً لدرجة تجعله يرتبط بي برباط الزواج ؟ وانفجرت ضاحكة .. يا لها من فكرة سخيفة !! إنه ينظر إلي الزواج كتمثيلية من نوع ((الفارس)) اجتاحني غضب شديد ..

إن جميع الرجال يتشابهون .. ولكني سألقنه درساً لن ينساه ..

.. وتم الفرح في ميعاده

.. إنني لا أكاد أصدق ذلك ؟ كيف ضحيت هكذا بمبادئي .. يجب ألا أنظر للأمر من هذه الزاوية لقد حددت لنفسي هدفاً وهذه التمثيلية التي أقوم بها هي الوسيلة لتحقيق هذا الهدف .. وسافرنا لقضاء شهر العسل .. كان يجب علي أن أحجز تذكرة العودة من أجل تنفيذ خطتي .. وحجزتها دون علمه بالطبع .. وذهبنا إلي أحد الفنادق الكبرى .. إن خطتي تسير الآن علي ما يرام فأحمد لا يشك في شئ !!

ولماذا يشك ؟ إن سلوكي تجاهه هو سلوك الزوجة المحبة المطيعة .. فلا يجب أن أنحرف عن الدور الذي رسمته لنفسي !!

وفي الفندق أخذ يقوم بإجراءات التسجيل وانتظرته غير بعيده .. هادئة في الظاهر رغم شدة توتري وخوفي عندما استدار نحوي وهو يبتسم .. تزايدت شكوكي هل أرغب حقيقة في تنفيذ خطتي حتى النهاية ؟

كيف يمكنني أن أقاوم تلك الجاذبية التي تشع منه ؟ لماذا لا أستسلم وأحتفظ لنفسي بذكري طيبة ما دام الأمر لن يدوم علي كل حال ؟

ووصلنا إلي الدور العلوي حيث توجد أفخم الغرف المزودة بشرفات تطل علي البحر هذا هو أحمد يختار الجناح الأغلى ثمناً من أجلي .. ولكي أهدئ من ثائرتي أخذت أتحسس حقيبة يدي .. حيث توجد تذكرة العودة إلي القاهرة .. وأقبل أحمد نحوي مبتسماً .. لقد أصبحت زوجتي من الآن فصاعد .. أصبح أسمك أميرة عبد القادر . إنه يقربني به .. يلازمني له هو لا ينوي طلاقي إذن .. لم أعد قادرة علي التفكير السليم .. وتلاشت الخطة التي وضعتها في ذاكرتي ألم أكن قد قررت أن أرسله بحجة ما إلي موظف الاستقبال وأنتهز الفرصة لأفر هاربة ؟ ولكن أية حجة !!

لقد اضطربت أفكاري .. وأصبحت كل التفاصيل مهزوزة مشوشة .. آه لو توقف هذا الصداع الرهيب .. ولكي أشجع نفسي أخذت أستعيد موقفي القديم منه .. إنه لا يحبني .. إنه تزوجني عن طريق التحدي وسوف يهجرني عندما يحقق هدفه .. إنه لن ينجح في خداعي ولكني أحبه !! أجل هنا فقط أستطيع أن أعترف أنني أحبه .. لقد أحببته منذ أول لحظة لقاء لي به .. وشعرت فجأة بدوار شديد واهتزت الأرض تحت قدمي وأخذت أصيح ولكن الكلمات تجمدت فوق شفتي .. أحمد .. وأظلم كل شئ من حولي وخيل لي أنني أسقط في هوة عميقة ..

أميرة استيقظي .. استيقظي يا حبيبتي .. ماذا حدث ؟!!

أرجوكي أن تتكلمي

عندما استيقظت وجدت نفسي ممدة فوق السرير وأحمد بجانبي وقد ارتسمت علي وجهه علامات القلق الشديد

- شكراً لله .. لقد أفقت
- ماذا حدث ؟
- لقد فقدت وعيك
- لكم من الوقت ؟
- عدة ثوان فقط .. ولكن كيف حالك الآن ؟

وأخذت أهز رأسي بشدة حتى أستعيد توازني فاستندت بمرفقيا علي الوسادة وحاولت أن أنهض ولكني شعرت بألم شديد في رأسي ورأيت أحمد واقفاً يتجه نحو الصالون .

- إلي أين أنت ذاهب .
- سأستدعي طبيب الفندق وسوف أعود في الحال
- لا ضرورة لذلك أنا أشعر بتحسن كبير .. أؤكد لك ذلك بسبب إرهاق هذا اليوم الطويل

أرجو ألا تقلق فلقد تحسنت كثيراً .. فأقترب مني وهو مازال متردداً .. هل أنت واثقة من ذلك .

وابتسمت قائلة له :-

نعم أنه مجرد صداع هناك أمبوبة من الأسبرين في حقيبتي هل تتكرم بإحضارها .

وذهب لإحضارها وشعرت بسعادة أمام لهفته وحبه الصادق يبحث عن أمبوبة الأسبرين إنني لا أستطيع أن أستدعيه فقد وصل بالفعل .. ونهضت من علي السرير علي الرغم من الألم الحاد الذي يعصف برأسه ووجدته قائلاً :-

- ما هذا ؟

بماذا يمكن أن أجيبه .. إنني لا أستطيع أن أكذب عليه الآن و لم يبقي أمامي غير الاعتراف بالحقيقة الأليمة ..

- لم يكن في نيتك أن تتبعيني في باقي رحلتي أليس كذلك ؟
- أحمد أرجوك دعني أشرح لك .
- حسن جداً .. كلي أذان صاغية
- أجل كنت أنوي العودة إلي القاهرة الليلة
- لماذا .. لماذا هذا الزواج وأنت تنوين أن تهجريني هكذا ؟ ولماذا هذه الخطة المعقدة وهذه الخيانة الوضيعة ؟

وأخذ يتقدم مني مهدداً وعيناه زائغتان كأنه حيوان جريح .. وتقهقرت عدة خطوات إلي الوراء .. هل سينهال علي ضرباً ؟ ألا أستحق ذلك بالفعل .. كم أود لو أختفي الآن .. أن أموت .. إنني لم أشعر بمثل هذا الخزي من قبل .. ومع ذلك فيجب أن أشرح له كل شئ وأن أقنعه .

- أحمد لقد أخطأت ويجب أن تسامحني .
- أسامحك ؟!! بعد كل ما فعلت ؟ لقد تزوجتك و لم أكن أفكر في الزواج .. وكذبت علي طوال الوقت فهل تكفي بعض الكلمات لمحو كل ذلك ؟
- لقد كانت فكرة الزواج هي فكرتك أنت .

- لقد عقدنا اتفاق يا أميرة ..
- وكان علي أن أنفذه .

ولوح بتذكرة الطائرة في وجهي قائلاً :-

- بهذه الطريقة ...

وتحديته بنظراتي قائلةً :-

- إنني ما زلت هنا

وفجأة ذهب إلي الغرفة ثم عاد وقد أرتدي ملابسه بالكامل وتوجه نحو باب الخروج قائلاً :-

- إن طائرتك ستقلع بعد ساعة .

وقلت متلعثمة .. ولكن ... أين ... أين تذهب الآن

سأمضي السهرة في مكان آخر وأحاول النسيان .. وبعد خمس دقائق كنت قد جمعت حاجاتي واستعددت للرحيل وقابلت أحد خدم الفندق وهو يحمل فازه من الكريستال بها باقة من الورود واتجه نحوي قائلاً :-

- السيدة أميرة عبد القادر ؟!
- أجل أنا هي
- هذه الورود لك يا سيدتي وهذا الظرف أيضاً
- لي أنا

كانت أزهار رائعة ذات لون أحمر وأريج قوي وعدت إلي الجناح مرة أخري وأخرجت الورقة من الظرف وأخذت أقرأها

((هذه هدية بسيطة تعبر لك عن أسفي .. وإن كنت مسؤولا بطريقة ((ما)) عن هذا الفشل فأرجو أن تصفحي عني .. أؤكد لك أنني لم أفكر لحظة واحدة في القيام بأي عمل ضد رغبتك أو هجرك ومما يؤسفني حقاً أنك تفكرين في غير ذلك ..)) أحمد

واستبدني الغضب .. لقد شعرت بالخزي والشعور بالذنب والأسف .. وأخذت أفكر من الواضح أن الكلمة الأخيرة مع أحمد لم تكن لي لقد فشلت خطتي وقبل أن أتركه يشعر بالمهانة حدث العكس .. وجلست أبكي .

وغادرت الفندق دون آن انظر ورائي .. وعدت إلي القاهرة وعلى الرغم من اندهاشهم في القاهرة لعودتي في يوم زواجي إلا أنني رفضت أن أبوح بأسباب ما حدث ...

لكنني تكلمت مع شيماء وكنت أنا المخطئة تماماً في نظرها ولامتني علي ما حدث مني

ومرت الأيام وأنا لا أعلم عنه شئ .. عذبني الحنين إليه إن لم يعد يلقاني .. أو يحدثني .. سافر دون أن يخبرني ما ذنبي !! هل يراني أخطأت ؟ أجل إنني مخطئة..لقد أدركت ذلك .. لكني أحبه .. أشعر أنني لم أحب مطلقاً .. لم أعرف سامح من قبل هو أحمد فقط ..

أشعر أنه حياتي .. أصبحت لا أريد أن أري الناس لأنني دائماً باحثه عنه .. عن صورته في هذا أو ذاك !! هل أذهب إليه ! كيف ؟ أشعر بشروخ عميقة في قلبي .. في كياني !!

لم يكن أمامي كمفر من أن ألوذ بنفسي في الأتيليه وأنغمس في العمل .. وهل هذا ما أريده ؟؟ إنني أهرب من نفسي إلي نفسي .. هو معي لا يفارقني كدت أصرخ .. أرجوه أن يخرج من داخلي .. من تحت جلدي .. من دمي .. أرجوه أن يتركني وحالي .. سأذهب إليه أ لم يكن زوجي !! أ لم يكن هذا حقي عليه!!! أ لم أشرح له الحقيقة .. لا .. لن أذهب .. يجب أن أنشغل بالعمل .. إن المعرض سيقام في الأسبوع القادم يجب أن أجهز كل شئ .. حتي الأتيليه يذكرني به .. هنا كان يجلس .. كنت أرسم لوحة له .. وهنا كان يحتسي فنجان القهوة .

ألا يسمع صراخ قلبي وقد مزقه بعاده ..لماذا لا يأت ؟ لماذا لا يسامحني ؟ كان يشعر بحبي له دون أن أفصح عن ذلك .. لما لم يأت أذن ؟؟

أخطأت لا شك في ذلك .. لكنه أيضاً أخطأ لم يعترف بحبه لي . لم يقل ذلك لي ..

وحاولت الانغماس في العمل .. لقد كان علي ليس فقط أن أنجز ما تبقي من عمل .. بل أيضاً الهروب من أفكاري ..

وتم افتتاح المعرض وساورتني الشكوك في مجيئه ووقفت لورا بجواري تحاول تهدئتي ..وانتهت مراسم الافتتاح وبدأ الزوار والمدعوون يتوافدون .. وجلست بعيداً أفكر في أحمد .. تري أين هو الآن .

وفجأة فتح باب المعرض واستدرت وأنا أقول لنفسي .. تري من يكون هذا الزائر المتأخر .. أحمد !! إنه ليس مسافر إذن .. ماذا يجب أن أفعل ؟

وأخذت أبحث عن مكان أختبئ فيه دون جدوي وتظاهرت أني لم أراه هو ورفيقته الجميلة ذات الشعر الأحمر .. و لم ألق نظرة واحدة عليه .. ولذلك ارتعدت عندما صافح سمعي صوته الهادئ العميق :-

- كيف حالك يا أميرة ؟

كان يقف بالقرب مني وهو يبتسم ولاحظت عل الفور أنه يبدو مرهقاً وأن الهالات السوداء تحيط بعينيه فقلت بصوت مخنوق

- علي خير حال وأنت ؟؟
- لا بأس بي .. أري أن حفل الافتتاح قد حقق نجاحاً كبيراً إليك تهنئتي القلبية ..

- شكراً لك .

وأخذ يتفحصني من قمة رأسي إلي أخمص قدماي وقال :-

- إن النجاح يزيد من جمالك يا عزيزتي وهذا الفستان رائع يلائمك تماماً

وقبل أن يكمل حديثه وجدت رفيقته تأتي قائلة له :-

- فلنذهب الآن يا أحمد

- إذا أردت ذلك

ثم التفت نحوي قائلاً :-

- لقد حرصت علي حضور الحفل لأتأكد من نجاح العملية ..

يا إلهي إن ربح المعرض هو الشيء الوحيد الذي يهمه وقلت بلهجة ساخرة :-

- أجل هذا هو الشيء المهم أليس كذلك ؟

وذوي ما بين حاجبيه عند سماع هذه الكلمات وقاد رفيقته إلي الباب بدون تعقيب .

وتملكني شعور الاحتقار الذي كنت أكنه له في الماضي وقلت لنفسي لقد ظللت طيلة هذه الأسابيع الماضية في حالة تأنيب ضمير .. أما هو فقد جاء وفي ذراعه امرأة أخري ليستفزني

وجاءت زوجة أخي قائلة لي ((أنا أجهل طبيعة علاقتك مع أحمد ولكن يجب أن أقول لك إن من كانت معه ليست غير صديقه قديمة له .. لقد كنت أريد أن أطمئنك فإذا كان هناك أي أمل في التصالح معه فإنها لا تمثل أي عقبة في سبيل ذلك))

فشكرتها علي شعورها تجاهي ..

وأتت لورا .. إنني لا أكاد أشعر بقدمي .. أنت تستحقين التهنئة .. لقد كان المعرض ناجحاً تماماً .. لقد تم شراء جميع اللوح التي عرضتها للبيع كما أن هناك طلبات وسوف يستغرق تنفيذها منك شهوراً طويلة .. أما ما لم يعرض فحاولي النظر فيه ..

- هذا رائع في الحقيقة لم أكن أتوقع ذلك .

- أما أنا فقد كنت متأكدة من هذا النجاح ..

اتجهت إلي لوحة أحمد .. إن ثلاثة من الزوار قد أبدوا رغبتهم في شرائها ولكني رفضت عروضهم .. أليست هذه من حق أحمد نفسه !!

إنني كنت سأهديها له لو اختلفت الظروف .. واقتربت منها وأخذت أتأملها باهتمام شديد وكأنني أريد أن أقرأ من تعبيرات وجهه الجواب علي أسئلتي!!!وفي صبيحة اليوم التالي استيقظت علي صوت جرس التليفون :-

- صباح الخير يا أميرة هل أيقظتك من نومك ؟
- لورا صباح الخير كم الساعة الآن ؟
- الثانية عشرة لقد أردت أن أحيطك علماً بالأحداث الأخيرة .. وأخذت تحدثني بالتفصيل علي حالة بيع اللوحات قبل أن تضيف ولا تزال الطلبات تنهال علي صباح اليوم ... كدت أنسي لقد بعت اللوحة ....
- أتقصدين لوحة الصغير ايمن مسعود إنه مبيع بالفعل
- لا ليس هذه اللوحة بل لوحة أحمد
- أوه لا يا لورا أنا لا أستطيع التخلي عنها
- لقد بعتها بمبلغ ضخم والشيك الذي يخصك موجود فوق مكتبي ..
- إن كنوز الدنيا لا تهمني أرجو أن تتصلي بهذا العميل وتلغي البيع فوراً
- آسفة لقد حملها الشاري معه

فقلت لها وقد تملكني الغضب :-

- لورا لقد تجاوزت .. أنني لم تحصلي علي إذن مني أريدك أن تسترجعي هذه اللوحة .
- أخشى أن يكن مستحيلاً
- ولماذا ؟ ... سأتكفل أنا بذلك من هو الشاري؟
- إنك تستطيعي رسم غيرها .. فما زالت لديك النسخة الأصلية منها
- لورا لن أصنع منها نسخاً أخري .. إنها ملكي وحدي أرجوك أن تقولي ما أسم الشاري ؟؟
- لا أستطيع
- لماذا ؟؟
- لقد أشترط أن يظل أسمه في طي الكتمان
- أنت تمزحين لا شك هل يعقل أن أجهل أسم حائز أعمالي ؟؟

تري من يكون هذا الذي تخفي لورا أسمه بهذا الإصرار ولكن .. إنه أحمد من غير شك .. ومن يكون غيره .. إنه وحده يستطيع أن يشترط ذلك .. ثم ألم يقل لي إن في نيته شراؤها .. وسألتها بصوت مخنوق

- إنه أحمد أليس كذلك ؟؟

ولما لم تجب علمت أنه هو وحييتها ووضعت السماعة ماذا يجب أن أفعل إن أحمد يملك بطريقة ما حقاً في هذه اللوحة .. ألم أكن قد قررت إعطائها له !!

أما قبولي عائداً مادياً من وراء ذلك فهو أمر مستحيل وأتخذت قرار بعد تفكير عميق ... ذهبت إلي لورا وأخذت الشيك وذهبت إليه ..

- صباح الخير يا أميرة ما وراءك ؟
- صباح الخير جئت لأعيد إليك الشيك
- أنا لا أريده
- ولا أنا أنني لا أقبل نقوداً منك

ألا أثبت بذلك حسن نيتي ويجب أن يفهم أنني أهديه اللوحة !! ومع ذلك فهو يرفض الهدية ويرفض أن يغفر لي سلوكي !!

ماذا يمكنني أن أقول ؟؟ وماذا أفعل ؟ وفجأة مزقت الشيك ووضعته عل المنضدة فقال :-

- لم يبقي أمامي إلا أن أكتب شيك آخر هذا كل ما في الأمر .
- واضح أنني أخطأت في المجيء ..
- انتظري .. سأحضر لك كأساً من العصير
- لم أتوقع حضورك إلي معرض الفنون بالأمس .. كنت أعتقد أنك في فرنسا أو أي مكان آخر
- لقد عدت منذ عدة أسابيع .. أما بالنسبة لمعرضك فأعتقد أنني أملك صالة العرض .. ثم أليس من حقي حضور المعرض ألست زوجك .
- أرجوك ألا تتكلم عن عملية التهريج هذه .....
- تهريج ياله من لفظ فظ ؟ لقد كان زواج مكتمل الشروط هو لا يزال قائما حتى الآن حتى يفصل بيننا الموت ؟ هل تتذكرين ذلك ؟

ياه .. إنه إذن لم يكن ينوي أن يهجرني .. لشد ما ظلمته إنه علي الرغم من القطيعة التي بيننا يؤكد لي أنني سأبقي زوجته إلي أن يفصل بيننا الموت ...

- أحمد أنا ..

وتعثرت الكلمات علي شفتي واضطررت أن أتنفس بعمق قبل أن أضيف إن أي صداقة بيننا قد انتهت بعد ما حدث أنا أعرف ذلك ولكن .. و لم أستطع التحدث . ووجدت نفسي أقول :-

- أري أنه من الأفضل أن أذهب الآن .

واتجهت ناحية الباب لكنه أعترض طريقي قائلاً :-

- هل هذا هو كل ما تريدين أن تقولين لي

- وماذا يمكنني أن أضيف .. لقد كنت آمل في إصلاح ما بيننا لكنك رفضت الاستماع لي .. لم تكن تفكر في إلا كامرأة ترفض أن تخضع لرغباتك لا تنسي أبدا ذلك .. أنت الذي هجرتني .

- وأي أهمية لذلك ؟ ألم تكوني قد قررت الهروب قبلي وأنا الذي كنت أثق في كلمتك !!

- لقد تم انتقامك يا أحمد ولكن دعني أرحل من فضلك

وشعرت بالدموع تتبلور في عيني وتنحدر علي وجنتي واستدرت وقد شعرت بالخجل وسمعت وقع أقدامه تقترب مني و لم أجرؤ حتى آن أتنفس هل سينهال علي ضربا ؟ و لم أدركت آن شيئا من هذا لم يحدث جففت دموعي براحة يدي .. واستدرت وقررت آن أزيحه من طريقي حتى يمكنني آن اذهب .. ولكنه قبض علي معصم يدي وانتفضت وقد تسمرت في مكاني وشعرت بيده تقبض بشدة علي معصمي وأصبحت مشلولة الحركة كحيوان ينتظر طلقة الصياد وانتظرت ما سوف يقوله .. لكنه قال بصوت هادئ مليء بالحزن :-

- لماذا فعلت ذلك ؟ .. لماذا لم تنفذي اتفاقنا . هل زواجي منك لا يعني شيء بالنسبة لك ؟

وأخيراً استطعت أن أنطق .. فقلت له :-

- وأنت هل تدرك ما كان ينطوي عليه سلوكك إن هذا الزواج لم يكن يعني بالنسبة لك إلا أن تضعني في سريرك

- ودوافعك أنت ؟ لقد قبلت اتفاقنا لسبب واحد .. هو إنهاء هذه اللوحة هل تجرئين الزعم غير ذلك ؟ كفي إذن عن اتهامي .

- ما فائدة هذا الحوار الآن ؟ لقد أنتهي كل شيء .. أنا آسفة لما فعلت .. ولكني لم أكن أنا المذنبة وحدي فلولا سلوكك المهين ..

- هل طلب الزواج منك سلوك مهين ؟ إنه علي العكس من ذلك .. لقد حاولت الكثيرات من قبلك الارتباط بي لكني كنت أرفض هذه الفكرة ..

- في هذه الحالة لماذا تزوجتني ؟

- ألا تعرفين ؟

- إذا كنت أعرف ما سألتك .. إنك تشبه جميع الرجال الآخرين .. إن سلوكك وأقوالك تنبئ بذلك نعم إنك تماماً مثل ....

- مثل من يا أميرة مثل ذلك الذي أورثك العقدة النفسية ضد الرجال ؟

- أنت مخطئ إن ذلك ليس له أية علاقة ..

- آه لقد كان تخميني صحيحاً .. .. ومنذ ذلك الوقت وأنت تحكمين علي جميع الرجال من خلال تجربتك الفاشلة ..

- توقف يا أحمد .. أنت تشوه كل شئ .. أعترف أنني تألمت طويلاً ولكن كل شئ فيك جعلني أعتقد أنك لا تختلف عن هذا الطراز من الرجال إنك لم تقبل الزواج بي إلا لأنني قاومتك أكثر من الأخريات ..

- قد يكون ذلك صحيح في البداية

- ها أنت ذا تعترف أخيراً

وأدرت رأسي لأخفي الدموع التي تبلورت في عيني فقال :-

- انظري إلي يا أميرة .. انظري بحق الله

- أنت تؤلمني

و لم أتحرك فوضع يديه فوق كتفي وأجبرني علي مواجهته

- قولي لي ما السبب الحقيقي وراء زيارتك اليوم ..

لقد كنت أحاول تفادي الاعتراف بالحقيقة ولكن هاأنذا قد وصلت إلي طريق مسدود وقلت لنفسي ربما أراح الاعتراف ضميري وجمعت أطراف شجاعتي وقلت :-

- أحمد إن ما أردت أن أقوله لك هو أنني كنت قد نبذت ما قد عقدت العزم علي القيام به أي الهروب منك ..

- ماذا تقصدين بقولك هذا ؟

- لولا سلوكك كحيوان جريح في تلك الليلة لمكثت معك .

وابتسم لأول مرة لأول مرة منذ حضوري ومد لي يده قائلاً :-

- فلنجلس .. الآن أستطيع أن أتحدث معك .. كيف يمكنني أن ألومك علي شكوكك وريبتك ؟ أعترف أنني أرهقتك بسلوكي وتماديت في التودد إليك ومغازلتك ولكن يعلم الله أنني لم أقصد إهانتك أو الحط من قدرك وقد زادت مقاومتك لي من اعتزازي بك .. أما الزواج فأنا لم أعتبره قط كنوع من التجربة

- أنا لا أفهم .. ماذا كانت دوافعك إذن . ؟

- لقد حاولت بكل الطرق أن أثبت لك أنك تعنين الكثير بالنسبة لي .. ألم تدركي مدي ارتباطي بك ؟ كيف يمكنني أن أفهمك ذلك ؟

- أحمد ماذا تحاول أن تقول ؟

كان من الواضح أنه يشعر بصعوبة في التعبير عن أحاسيسه بالكلمات ومواجهة نظراتي .. لكنه قال :-

- إنني أحبك
- إن هذه الكلمة البسيطة كان من شأنها أن تغير من موقفي تماماً .. لماذا لم تنطق بها من قبل ؟
- لقد اعتقدت أنني عبرت عنها بأفعالي وسلوكي ..
- ياه يا أحمد إنني مثل غيري من النساء في حاجة إلي سماع تلك الكلمات ..

وجذبني إليه وهمس في أذني قائلاً :-

- يا حبيبتي هل تمنحيني فرصة أخري ؟
- كان كل شئ بداخلي يدفعني إلي القبول والاستسلام لأمر الحب ثم إنه زوجي فقلت له
- أحمد ماذا كنت ستفعل لو لم تجد تذكرة الطائرة في تلك الليلة ..
- كنت سأقبلك هكذا وأعيش أسعد لحظات حياتي مع زوجتي وسنظل كذلك حتى يفرق بيننا الموت ..

تم الصف والإخراج الفني بدار الشريف للنشر
مدير التوزيع
أحمد عادل طاحون
٠١٢٢٩٣٢٩٣٢